النهار
٢٠٠٢/٨/٥

المدينة المرقطة

I

من يجول في شارع المعرض وساحة النجمة بين الصور الجوية التي أخذها على مر السنين يان ارتوس – برتران يدرك ان الارض تفصح احيانا عن اشياء قد تغيب عمن يقف عليها. لذا، قد يكون من الافضل ان يتجنب المصور الفرنسي الطيران فوق بيروت في مطلع شهر آب، في اطار اعداده لمجموعة من الصور حول لبنان. ذلك ان اي صور قد يلتقطها من علّ قد توحي ان المدينة لم تعد مدينة بل صارت معسكرا للكشافة "ازدان" بشتّى انواع المشوهات. وكأنه لا يكفي بيروت ما عانته من دمار الحرب وعبث ما بعد الحرب والذوق الفاحش للاثرياء الجدد، فبات عليها ان تختفي تحت ملامح مدينة مرقطة، وأي تعارض بين الكلمتين!

II

قبل أعوام، قامت الحكومة بازالة كل اللوحات الاعلانية من الشوارع تهيئة لسن قانون جديد قيل انه يراعي مقتضيات بلدية صارمة. لم يفكر احد في تقويم ما جرى منذ ذلك الوقت او للتأكد من ان الانتشار الاعلاني اقل اتساعا مما كان قبل تلك المبادرة الحكومية. ربما لان اجتياح اللوحات الاعلانية بات أمرا عاديا، مقارنة بهجمات اللافتات التي تتعرض لها شوارع المدن والقرى والطرقات العامة مرارا وتكرارا كل سنة في ما يسمى المناسبات الوطنية وفي مقدمها عيد الجيش.

طبعا، السؤال هو عن كيفية تدبيج آيات التبجيل. فاذا كان معروفا انها تمر بواسطة خطاطين محترفين وتنتهي عند رجال الاطفاء ليعلقوها، تبقى آلية اختيار العبارات لغزا كبيرا بالنسبة الى المواطن المتفرج، خصوصا اذا انتبه ان التنويعات كلها على نغم واحد. هل هناك لائحة بالاقتراحات شبيهة بقائمة الطعام تقدم الى اصحاب النخوة الذين يتم "استنخاؤهم" فيكون في مقدورهم انتخاب التي تلائم طباعهم او مخيلتهم؟ أم ان "الطلبية" تصل خالصة مخلصة الى الخطاط الذي ما عليه الا رسم الشعار المطلوب منه ومعه التوقيع المرافق؟ وفي هذه الحال، أي معايير تتحكم في وتيرة التواقيع، بين المختار فلان واصدقاء علان و"رئيس وأعضاء المجلس البلدي"، من دون ان ننسى "شباب" المحلة؟ على فكرة، من يدفع النفقات؟

الاحتفالية التي تحاوط عيد الجيش ليست جديدة بالكامل، ولا هي مستوردة كليا. فأيام الجمهورية الاولى، كان الجيش يحتل موقعا مركزيا في الايديولوجيا اللبنانية، رغم شعار "قوة لبنان في ضعفه". والمفارقة انه بقي في هذا الموقع، بل توسع فيه، في ظل التحوّل "المقاوم" لهذه الايديولوجيا، فتوسعت معه الاحتفالية المنفلشة، في سياق التحضير للاتيان بالعماد لحود رئيسا للجمهورية وعلى[

النهار
٢٠٠٢/٨/٥

خلفية لبننة بعض الانماط البعثية. ولعل اجماع الجمهوريتين، الاولى والثانية، على دور الجيش هو ما يجعله ينعم باجلال لا تستفيد منه قطاعات اخرى لم تكن اقل اسهاما في بناء هذا البلد والدفاع عنه وتجميل صورته، مثل الاساتذة والاطباء والمحامين والفنانين والعمال والمصرفيين والصناعيين والتجار (نعم التجار، ألم يقم البلد على التجارة؟) ناهيك بالصحافيين والادباء.

لكن المسألة ليست في المعنى السياسي لهذه الاحتفالات بقدر ما هي مسألة جمالية. وما دام المردود الدعائي لمثل هذه الحملات شبه معدوم، كما يفترض ان يعرف ذلك أولئك الضباط الذين حصّلوا اختصاصا في علم النفس الاجتماعي. فلماذا لا يتم اختيار اساليب أقل نفورا من اللافتات القماشية او الاعلام الورقية البخسة او البيارق الابخس المصنوعة من نايلون؟ ففي بلد يملك الصناعة الاعلانية الاكثر تقدما في المنطقة، وتزدهر فيه المطابع المتطورة، ومنها مطبعة الجيش، ان اهمال كل هذه "الترسانة" وتفضيل جماليات بائدة عليها يوازيان دعاية سلبية. أضف الى ذلك ان هذه "الزينة" لا تخدش فقط مشهد الحياة المدينية، بل تشكل في بعض الاحيان خطرا على السلامة العامة، كما في حال العلم الممدود على طول جسر جل الديب والذي تنزع الرياح اطرافا منه كل سنة فتضطر السيارات الى تخفيف مفاجيء لسرعتها، او قوس النصر الذي تم تعليقه في ليلة بلا ضوء قمر على مخرج نفق نهر الكلب من دون ادنى اجراءات الحيطة والحذر.

اذا كان المواطنون لا يسألون عن الجمالية ولا حتى عن السلامة – فهم الأعرف بأنهم لا يستحقون في أعين السلطة اي انتباه – ألا يجدر بالمسؤولين عن الاقتصاد والسياحة ان يفكروا في انعكاس هذه الطقوس على الزوار؟ ألا يكفي الزوار ان لبنان يستقبلهم بصورة بندقية تتكرر كل عشرة امتار في شعارات "حزب الله" المزروعة على طريق المطار؟

III

ما دام الحديث عن البنادق، ربما آن الاوان كي ينتبه وزير الداخلية الى انه لا يوجد بلد آخر في العالم تحمل فيه الشرطة البنادق الرشاشة وسط الحفلات الموسيقية او بين جمهور المهرجانات. صحيح اننا تعودنا رؤية السلاح خلال الحرب، لكن الاطفال الذين ولدوا بعدها، لماذا نجبرهم على اكتساب هذه العادة السيئة؟ والزوار العرب والاجانب، هل يعتقد وزير الداخلية وزميلاه في الدفاع والسياحة انهم يطمئنون عندما يرون هذه المشاهد، حين يجدون أنفسهم وراء شاحنة عسكرية يحمل الجالس في مؤخرتها بندقيته على حضنه، بدل ان يركزها على الارض الى جانبه، غير عابىء ان راحت الفوهة تصوب نحو المارّة أو السيارات التي تتبع. الوزراء معذورون، فالعادة اعمتهم مثلما تعمي المواطنين. لكنه يكفي الجلوس لحظة مع زوار اجانب في مقهى يقف امامه عسكري بسلاحه حتى يسأل أحدهم: "لماذا يقف الجندي هنا؟ ألم تقل لي ان الحرب انتهت؟" تشرح له ان الدولة تحمي المواطن لكنها لا تملك امكانات حراسة مموهة، فاذا بآخر يقول بمكر شديد: "ربما يعتقدون ان الثياب المرقّطة تساعدهم للتمويه في قلب المدينة".

IV

النهار
٢٠٠٢/٨/٥

في مقال الزميل علي حماده اول من امس ان مداولات مجلس الوزراء في الشأن الاعلامي كادت تستقر عند فكرة "اقفال كل المحطات ما عدا واحدة لارتباطها بالصراع العربي – الاسرائيلي". تصوروا المشهد: تلفزيون "حزب الله" يختصر لبنان.الله!

سمير قصير

النهار
٢٠٠٢/٨/٥

Id-Reference	**02-Pr-000001**	
Media	**(Support)**	HC
Title		المدينة المرقطة
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٢/٨/٥ 5/8/2002
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	يان.ارتوس – برتران –– اميل.لحود – علي.حماده
	Locations	لبنان
	Dates	
	Themes	لبنان – لوحات.اعلانية.بلا.وقاية – مشوهات.بيروت – عسكر.بين.مدنيين
Subject		